ندوة « الآداب »

الاصالة في الفلسفة العربية المعاصرة

من ندوات البرنامج الثاني باذاعة القاهرة ، اشترك في الندوة :
الدكتور زكي نجيب محمود
الدكتور عبد الرحمن بدوي
الدكتور فؤاد زكريا
اعد الندوة : ابراهيم الصيرفي

عبد الرحمن بدوي : الواقع ان عنوان هذه الندوة يثير في نفسي الكثير من التردد من ناحية والقلق من ناحية اخرى . القلق لاننا قد لا نصل في هذا الموضوع الى نتائج ايجابية واضحة ، والتردد لانه سيلزم المرء احيانا الى الخروج عن التواضع الذي يتحلى به فيتحدث مضطرا بوصفه قد شارك ، او يدعى على الاقل لنفسه هذه المشاركة الاصيلة .

واول ما يتصل بهذا الموضوع ان نحدد الالفاظ التي يتألف منها عنوان هذه الندوة فنبحث كلمة الاصالة ، ما حدودها ؟ وما مدلولها ؟. من المتفق عليه ان هذه الاصالة لا يقصد بها الخلق من العدم ، فالخلق من العدم غير موجود اطلاقا ، لا في المذاهب الفلسفية ولا في غيرها من الافكار علمية كانت او عملية . وعلى هذا ينبغي ان نقصر كلمة الاصالة على الشيء الجديد الذي بنى على ما حدث من قبل ، او الفكرة الجديدة التي انضافت الى تيار موجود الان او كان موجودا في التاريخ ، فوضحته او زادته احكاما او اكسبته صورة جديدة من شأنها ان تكسبه ثوبا جديدا او طريقة خاصة في الاقناع ، او ما الى ذلك من انوعا البناء التركيبي الذي يسعى المفكر دائما في ان يكون في اي مذهب فلسفي .

هذه الاصالة اما ان تكون بأن يبتكر الانسان مذهبا كالافلاطونية انشأها افلاطون والارسططالية ارسططاليس والديكارتية ديكارت الخ . والاصالة بالمعنى الثاني ان يجد الانسان مذهبا من المذاهب فشارك فيه مثل الوجودية اذ شارك فيها الكثير من الفلاسفة مثل كيركجورد اوهايدجر اوياسبرز الخ من اولئك الفلاسفة المختلفي البلدان والثقافات يجمعهم كلهم الانتساب الى مذهب واحد . وهذه الاصالة بالمعنى الثاني ايسر من الاصالة بالمعنى الاول . وقد نضيف الى هذه الاصالة اصالة النظرة الجديدة لمذهب نظر اليه من قبل . وهذا ادخل في باب الدراسات التاريخية . وكذلك اذا نظر الانسان نظرة جديدة الى مذهب قديم او جدد شبابه كما نجد مثلا فيما يعرف في اوروبا الان بالواقعية الجديدة ، كل هذه تجديدات لمذاهب قديمة او كانت قائمة من قبل . بهذا اظن الاصالة . وبهذا نستطيع ان نخوض في الموضوع .

زكي نجيب محمود : اوافق الدكتور عبد الرحمن بدوي كل الموافقة على هذا التقسيم لمعنى الاصالة . فمنها ما هو ابتكار جديد وهذا نادر جدا في كل الميادين ، ومنها مشاركة وتوسعة لما هو قائم ثم منها ، ثالثا واخيرا ، تفسير جديد لمذهب قديم . واعتقد اننا ، والحمد لله ، اذا نظرنا نظرة منصفة لانتاجنا الفلسفي في عصرنا الحديث فاننا واجدون اننا قد انتجنا ما هو اصيل ، على الاقل ، على الاقل في البند الثاني والثالث . اي انه اذا لم يكن منا من ابتكر مذهبا جديدا ، فمنا ، دون شك ، من شارك في توسيع مذهب قائم ، ومنا ايضا من اعطى معنى جديدا لمذهب قائم . واود ان اذكر بالاكرام والتبجيل الاستاذ المرحوم يوسف كرم كمثل للبند الثالث ، لانه فيما نشر من كتب ، وخصوصا كتابيه « العقل والوجود » و « الطبيعة وما بعد الطبيعة » ، بسط وجهة نظره في المذهب العقلي ، بسطا اعتقد انه يحمل طابعا فريدا خاصا به . لا اقول ان المذهب مبتكر ، وانما اقول انه اضاءة جديدة وخلاصة ما يريد ان يقوله ان الانسان يستحيل عليه ان يقتصر على المدركات الحسية ، بل لا بد من اضافة مدركات عقلية ومبادىء عقلية . الى هنا لا جديد . ولكن الجديد يبدأ من اصراره على ان هذه التصورات التي تنشأ في العقل والمبادىء العقلية انما هي ذات مقابل في الخارج وليست من قبيل الاوهام العقلية والمخترعات الكلية التي تقتصر على ذهن صاحبها ، بل لا مقابل موضوعي في الوجود . ثم ما هو اهم من هذا ما يراه من ان باستطاعة المتصوف المتدين ان يبين ان النتائج التي يصل اليها عن طريق المنطق العقلي الصرف في هذا الاتجاه تؤيد ولا تعارض ، بأي معنى من المعاني ، الايمان الديني . فهو يرضي عن نفسه وعن ايمانه عندما يجد انه انتهى بعقله الى ما يرضي قلبه . الحقيقة ان مثل هذه الفلسفة ليست فقط فلسفة تعكس شخصية يوسف كرم انما تعكس اتجاها سائدا في ثقافتنا التقليدية . وانا وان كنت لا اخذ بهذا المذهب ، الا انه لا يسعني الا ان اضعه في اول القائمة ، قائمة الذين عملوا وانتجوا انتاجا اصيلا في فلسفتنا المعاصرة .

فؤاد زكريا : لي تعقيب على مفهوم الاصالة ، هو الربط دائما بين مفهوم الاصالة وبين الظروف الثقافية العامة لاي بلد من البلاد . فلنفرض مثلا ان بلدا اكتشف كشفا جديدا لاول مرة . ليس مفروضا في مفكري هذا البلد ان يأتوا بانتاج اصيل في هذا الميدان بنفس المعنى الذي خاضته بلاد اخرى قرونا طويلة . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقول ان الفلسفة بمعناها الحديث ، بالمعنى الذي تكلمنا عنه في الفلسفة العربية المعاصرة ، جديدة الى حد بعيد في ثقافتنا المعاصرة . فاذا استثنينا كتابات لطفي السيد ، فربما لا ترجع الفلسفة العربية المعاصرة الى ما يزيد عن ثلاثين عاما . ونتيجة لهذا ، فانه لا ينتظر منا ، في مثل هذه الظروف الثقافية العامة ، ان ننتج انتاجا فلسفيا اصيلا بنفس المعنى الذي ينتظر من المفكرين الاوروبيين . فهؤلاء تربطهم ببيكون ، على الاقل ، صلة وثيقة ، اي منذ اربعة قرون كاملة وهم مرتبطون بتيارات فلسفية . لهذا لا يضيرنا استبعاد الاصالة بمعناها الاول ، او بعبارة اخرى لا ينبغي ان نعيب انفسنا اذا لم توجد لدينا الاصالة بهذا المعنى ، ولا يجب ان نعد هذا نقصا على الاطلاق . واذا وجدت لدينا فلسفة اصيلة من النوع الذي اشار اليه الدكتور زكي نجيب ، فهذه لا بد ان تكون محاولة مشكورة نقدرها كل التقدير .

عبد الرحمن بدوي : اعتقد اني لا اوافق الدكتور فؤاد زكريا في رأيه في معنى الاصالة على هذا النحو الذي قد يرضي كبرياءنا ، ولكنه لا يرضي الحقيقة الواقعية . وعلى هذا الاساس ارى الا نقاس الاصالة بتاريخ البلد في تطوره ، وانما بمعيار التقدم العام للانسانية ، في اي مكان وفي اي زمان ، والا حددنا تمام التحديد معنى الاصالة وجعلناه نسبيا محليا ، ولنسبنا لانفسنا من الاصالة ما لا يوجد مطلقا في المعيار العام الحقيقي للاصالة او التقدم الفكري . وعلى هذا الاساس ايضا اقول ، انه فيما يتصل بكلام الزميل الدكتور زكي نجيب عن الاصالة في كتابي المرحوم يوسف كرم ، انه لم يأت الا بمحاولة بسيطة لا تدخل فيها الاصالة بمعناها الحقيقي ، بمعنى ايجاد فرع جديد في داخل التيار العام الذي شارك فيه ، هو قد يكون اصيلا بالمعنى الذي اشار اليه الدكتور فؤاد زكريا . اما بالمعنى العام فلا ، والا

لكانت الاصالة حالة متاحة لكل انسان تقريبا .

زكي نجيب محمود : لو اخذنا الاصالة بمعناها الجدي الصارم ، وهو ان القي سؤالا جديدا واحاول الاجابة عليه دون ان يكون هناك من سبقني الى القاء السؤال ، وبالتالي محاولة الاجابة . وبهذا المعنى وحده يختلف تاريخ الفكر الى عصور ومدارس ، كما فعل ارسطاليس وزملاؤه . اذ بدأ بسؤال لم يسبقه اليه احد ثم توالت الاجابات وتتوالى وهي وان كانت جديدة ومبتكرة الا انها اصالة من الدرجة الثانية لانها محاولة لكشف مشكلة اثارها من هو اصل من الذين يستطيعون الاجابة .

بهذا المعنى من الاصالة لا اصيل فينا ، بل لا اصيل في اوروبا بأسرها في القرن العشرين . وقد قيل ، بحق ان الاصالة في الفلسفة، بصفة خاصة ، كانت في القرن التاسع عشر ، وجاء القرن العشرون ليحلل ويفهم . لهذا لا بد ان نأخذ الاصالة بمعناها الثاني ونعفي انفسنا من اصالة الدرجة الاولى . ولا غرابة ان قال هوايتهد في هذا المعنى الاول للاصالة انه لا اصالة بعد اليونان ، حتى انه قال انك تستطيع ان تعد تاريخ الفلسفة كله هوامش على افلاطون ، لان ما جاء من بعده ليس الا شروحا بالموافقة او بالمعارضة او التعديل او التنوير. ولا جديد بالمعنى الاصيل . واذن فنحن مضطرون ان نأخذ بالاصالة بالمعنى المتواضع وبالمعنى المتواضع نجد ان فينا من القى اضواء شخصية لها قيمتها . وما ينبغي ان نفرق مجهوداتنا في تيار كوني عام فتضيع .

فؤاد زكريا : خيل الي في بداية تعقيب الدكتور زكي نجيب انه يعارض الفكرة النسبية التي قلت بها ، ثم اتضح لي بعد ان اسهب في شرح وجهة نظره انه يوافق الى حد بعيد على ضرورة ربط مفهوم الاصالة بشيء من الكلام عن الظروف الاجتماعية او الثقافية العامة بعصر من العصور . او اذا شئت ان اكون دقيقا في تعبيري فانه قال بشيء من النسبية في معنى الاصالة . اما رأي الدكتور بدوي فيما يتعلق بضرورة الاخذ بمعنى مطلق من الاصالة فأخالفه . انني اعتقد اننا نستطيع ان نتجاهل قيمة التراث في تكوين الناس ، فبلد يمتد تراثه الفلسفي ، مثلا ، لعدة قرون ، لا بد ان يمكن للطالب العادي فيه ، في دراسته المألوفة ان يشعر بما وراءه من اثر هذا التراث . واذن فمن واجبنا ان نحسب حسابا لضيق الفترة الزمنية التي اتيح لنا فيها ان نفكر تفكيرا فلسفيا بالمعنى الصحيح . فالتراث الذي يتوارث جيلا بعد جيل وقد لا يشعر به المرء شعورا واعيا ، له ولا شك تأثير في تفكيرنا جميعا .

عبد الرحمن بدوي : اعتقد انه لكي تتضح المسألة بصورة ادق علينا ان نضرب بعض الامثلة : المدرسة السقراطية التي اسسها سقراط تجد افلاطون يمثل فيها مكان الصدارة ، ثم يأتي ارسطاليس مكملا تعاليمها . فهل لا نجد مذهب افلاطون اصيلا لان سقراط بحث في التصورات وجعل الانسان موضوع الفكر الفلسفي ؟ او لا نعد ارسطو اصيلا ، واصالة كاملة الى جانب افلاطون ثم سقراط لانه بحث في نفس الموضوعات وبدأ بالتتلمذ على افلاطون وجعل همه البحث ، الى جانب الفلسفة الطبيعية التي امتاز بها على كليهما ، فبحث في نظرية التصورات وتوصل فيها الى مذهبه فيما بعد الطبيعة من ناحية ، والى المنطق من ناحية اخرى ؟ او فلنضرب مثلا اخر ، مدرسة ديكارت ، وهذه ينتسب اليها سبينوزا ومالبرانش وغيرهما ، ممن لهم فيها مشاركات اصيلة ، ليس فقط بالمعنى الثاني الذي حددناه في هذه الندوة ، بل بالمعنى الاول ، بمعنى انهم فعلا مبتكرون وان لابتكارهم من الاصالة ما لا يقصر القيمة الاصلية على المبادىء . ولنضرب مثلا ثالثا اقرب واوضح هو ان كيركجورد يعد ابا الوجودية ، ولكن ما قيمة كيركجورد في الفلسفة الوجودية الى جانب ما قام به هيدجر اويسبرز ؟ ان مجرد البداية او الرائد الاول ، في الواقع ، لا تعطي الاصالة لواحد هو الذي بدأ الطريق اولا ، لان الذي اسهم وكان اسهامه اوفر من غيره يعد ، في نظري ، اولى من مجرد البادىء فحسب وانما الذين رصفوا الطريق وعبدوه وهم في الواقع اشخاص غير هذا الاول الذي بدأ .

وعلى هذا ارى الا تتطلب الاصالة بالمعنى الاول ان يكون الانسان مجرد بادىء بدءا كاملا منذ البداية .

زكي نجيب : يخيل الي اذن اننا متفقون على التوسيع في معنى الاصالة وعدم التضييق .

فؤاد زكريا : وعلى تخفيف الشروط بالنسبة لظروفنا .

زكي نجيب : وعلى هذا الاساس ذكرت يوسف كرم واصالته ، والا لما وجدت احدا بيننا يتصل بالاصالة ، فاذا كان لنا ان نستطرد في الحديث عن الاصالة في انتاجنا العقلي ، بالمعنى المخفف لكلمة اصالة .

فؤاد زكريا : قرأت في مجلة المجلة منذ مدة بحثا للدكتور زكي نجيب محمود في ميدان الفلسفة العربية المعاصرة واعتقد انه من الافضل لو ذكر لنا شيئا نتخذه اساسا لمناقشة الاصالة الفعلية في الفلسفة العربية .

زكي نجيب : اذكر اني قسمت الانتاج الفلسفي الى قسمين بمعنيين للفلسفة ، معنى يتصل بفلسفة الحياة اتصالا اكبر ، ومعنى اخر يتصل بالتأمل والتجريد وهي فلسفة المتخصصين . وبعد ان ذكرت فريق القسم الاول ، وهم ادباء متفلسفة ، ومنهم الشيخ محمد عبده والعقاد وطه حسين واخرين ، قلت انهم جميعا يتفقون في اتجاه فلسفي واحد. هو محاولة النظرة الى الامور نظرة عقلية بدلا من النظرة القائمة على الخرافة والتي كانت سائدة ، ثم انتقلت الى اتجاهاتنا نحن المشتغلين بالفلسفة في الجامعات . وقد وجدت اننا قسمان : قسم يكتب متمذهبا، وقسم يكتب بغير مذهب واضح ينتمي اليه . وقلت ان الدكتور عبد الرحمن بدوي على رأس المتمذهبين . وانا انتهز هذه الفرصة لاقول انه يكفينا ، بل ويكفي اية جامعة في الدنيا فخرا ان يكون بين اساتذتها عبد الرحمن بدوي فهو رجل لا يعد فقط في مقدمة من وضعوا لنا اساسا من التراث الاسلامي يقيم عليه الباحثون ما يريدون من ابحاث ، وانما يقدم لنا هذا في مقدمات بالغة القوة . وبالاضافة الى هذا فان له مذهبه الخاص ، الذي لا اقول انه يردد صدى ما يقع في اوروبا ، بدليل انني اتصور انه اذا ترجم ما يكتبه بدوي مما يتسم بسمةالوجودية لوجدوا له طابعا خاصا ، وطعما خاصا بشخصيته ، ويكفي هذا اصالة بالمعنى الذي نقوله .

والحقيقة ان للمشتغلين بالفلسفة عندنا الفخر ، لان من بينهم فرقا تتجاوب مع كل ما في الدنيا من اتجاهات فلسفية اساسية ، لان في العالم ، فيما اتصور ، اربع اتجاهات فلسفية كبرى هي ، المعسكر الانجلوسكسوني ويشمل انجلترا وامريكا وشمال وغرب اوروبا وهؤلاء يتصفون بتحليل المعرفة . ومعسكر وسط اوروبا وهم يتصفون بتحليل الشخصية الانسانية من وجودية وغير ذلك . ثم شرق اوروبا وروسيا وغيرها وهم يتصفون بفلسفة اجتماعية اقتصادية هي الاشتراكية وما اليها . ونضيف الى هذا الهند بفيلسوفها اوراكريشنان وفلسفة التصوف بما فيها من استجابة لنزعة التحليل الشخصية الانسانية بطابعها الخاص . بيننا من استجاب للفلسفة الاشتراكية وبيننا من اخذ بطابع التصوف في نزعته الفلسفية الخ . وهناك ، بالاضافة الى هؤلاء المتمذهبين من يرجع اليهم كل الفضل ، من الباحثين ، في الوصول الى نتائج جديدة بابحاثهم الجامعية .

فؤاد زكريا : اود ان اعقب او اسير في نفس الطريق الذي سار المعاصرة سواء كنا نبحث في الاصالة او اي موضوع من موضوعات تلميذا للدكتور بدوي لا يتفق معه في الاتجاه الوجودي ومع ذلك الفلسفة ، ان نشير الى الجهود القيمة الممتازة التي قام بها الدكتور عبد الرحمن بدوي . وانا اعتقد ان لي الحق في ان اتكلم في هذا الموضوع ، ربما لاني واحد من تلاميذ الدكتور بدوي ، بل ولاني امثل تلميذا للدكتور بدوي لا يتفق معه في الاتجاه الوجودي ومع ذلك فاستطيع ان اقول بكل بساطة ان تكويننا الفلسفي ، تكوين الجيل الفلسفي الحديث كله ، قد اثر فيه بالفعل عبد الرحمن بدوي ، سواء

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

بشكل مباشر عن طريق تقبل مذهبه الوجودي او عن طريق اعطاء المثل.

واعتقد ان اعطاء المثل هو افضل وسيلة من وسائل التعليم ، او افادة الجيل القديم للجيل الاحدث منه ، وانا بالطبع لا اقصد ان الدكتور بدوي من الجيل القديم بالمعنى المتطرف ، ولكن بالفعل هو استاذنا واستاذ عدد كبير من المشتغلين بالفلسفة في الوقت الحاضر . على ان من الصدف ، التي ربما لا يكون البرنامج قد تعمدها ، ان ضم اثنين من المشتغلين بالفلسفة في مصر يمثل كل منهما اتجاها متطرفا في ناحية . فاذا كان الفلاسفة ينقسمون ، كما قال برتراند راسل في عنوان كتاب مشهور من كتبه ، الى صوفية ومنطقيين او الى ميالين الى الانفعال واخذين بالاسلوب العقلي ، فان لدينا بالفعل جانب التصوف باوسع معنى للكلمة ويمثله الدكتور بدوي وجانب المنطق والاتجاه الوضعي المنطقي الذي اخذ به الدكتور زكي نجيب محمود . اما ثالث افراد هذه الندوة ، وهو المتحدث الان ، فان من حسن حظه ان تتلمذ على الاثنين معا وبمقدار متساو تقريبا . تأثرت بالوجودية وتأثرت بالوضعية المنطقية . علمنا احدهما كيف نفتح مجالات جديدة للبحث الفلسفي ، وعلمنا الثاني كيف نتخلص من خرافات عديدة فعلا ، اي انه ايقظنا من سباتنا الدوجماطيقي او التوكيدي او القطعي على حد تعبيره. وعلى هذا الاساس ارى ان كلام الدكتورين بدوي وزكي نجيب عن الاصالة ربما كان ممثلا لاهم الاتجاهات الموجودة حاليا في الفلسفة العربية المعاصرة .

عبد الرحمن بدوي : أشكر الزميلين على هذه العبارات التي لا استحقها . ولكننا في الواقع ، نستطيع ، ابتداء من الكلمات التي تفضل بها الدكتور زكي نجيب أن نتبين الاصالة في اتجاهين : اتجاه ميتافيزيقي ، ولا اسميه صوفي كما رأى الدكتور فؤاد زكريا ، لاني لا أؤمن بالصوفيه التي يقصدها . والاتجاه الاخر هو الاتجاه المنطقي التحليلي المرتبط بنظرية المعرفة . واعتقد ان هذين التيارين هما التياران اللذان كانت العناية بهما ، بل اقول دون تواضع زائف الذي كانت فيهما الاصالة في الانتاج ابرز مما كانت في اي تيار فلسفي اخر. ولهذا اعتقد أن من الخير ان يتولى كل منا ايراد ما يرى انه اتى فيه بجديد في هذين الاتجاهين . وعلى هذا اترك المجال لزميلي الدكتور زكي نجيب ليبين الجديد فيما يتصل بالوضعية المنطقية والواقعية الجديدة . ثم اعقب بكلمة عن الجديد في الفلسفة الميتافيزيقية التي هي الوجودية .

زكي نجيب : خلاصة الاتجاه الذي اعتنقه بكل قوة ان الفلسفة ليس لها موضوع خاص وانما مهمتها دائما تحليل ما يقوله العلم . واذا كان الامر كذلك ، فليس ثمة مدركات فلسفية خاصة تعني بها الفلسفة دون سائر العلوم بل كل المدركات التي يتهيأ العقل لقبولها هي مدركات علمية والا فليقذف بها الى البحر كما يقولون . واذا كانت مهمتي هي تحليل المدركات العلمية فاذن لا بد من ايجاد ادوات منطقية احلل بها هذه المدركات ، هذه المعاني التي ترد في السياقات العلمية ، لابين متى يكون المدرك مقبولا ومتى يكون زائفا . وبهذا نستطيع ان نجعل الفلسفة معينة للعلم لا معارضة له . ولسوء الحظ بالنسبة للكثيرين ولحسنه بالنسبة لي ، اننا عندما نستخدم هذه المشارط في تفجير تلك المدركات او المفاهيم ، نجد ان كثيرا جدا من المدركات التي كان لها شيء من التوقير والاحترام والاجلال في المجال الفلسفي هي في الحقيقة لا معنى لها . وهنا نجد كلمة معنى كلمة هامة . فماذا نقصد حين نقول ان شيئا له معنى وان شيئا اخر لا معنى له . لذلك نجد ان اتجاهنا الفلسفي يصرف عناية كبيرة جدا في تحديد المقصود بكلمة معنى . وبكل اختصار ، حينما نحدد هذه الكلمة نقول ان الكلام ايا كان لا يكون له معنى الا في احد وجهين : اذا كان كلا ما يدعى انه يحدثنا عن العالم الخارجي باي معنى من المعاني فلا بد ان يرتكز على حصيلة حسية . واذا كان من قبيل الرياضة لا شأن له بالعالم الخارجي فلا بد ان نعرف فيه ذلك وان نقول بانه كلام لا شأن له بالعالم الخارجي . وعندئذ نطالبه فقط بان يكون استنتاج النتائج فيه استنتاجا سليما من مقدماتها . وعندما نستخدم هذا القياس نجد ان كثيرا جدا من الجمل الميتافيزيقية ، بصفة خاصة ، لا معنى لها بالمعنى الذي نقصده نحن بكلمة معنى .

عبد الرحمن بدوي : على الرغم اني اخاف الشرط الذي يستخدمه الدكتور زكي بالنسبة للمذهب الذي انتمي اليه فاني مع ذلك ، ساقول خلاصة عامة تحدد معناه ثم اتحدث بعد ذلك عما اعتقد اني اتيت فيه بجديد . فاولا : المعنى العام للوجودية انها المذهب الذي يبحث في الوجود بعبارة مختصرة تمام الاختصار . ونفس فكرة البحث في الوجود ، بما هو وجود ، هي التي جعلها ارسطاليس موضوعا لما بعد الطبيعة والميتافيزيقا . وهو ما جعله طاليس المرحلة العليا من الفلسفة. ولكن الذي اتت به الفلسفة الوجودية من جديد في هذه الناحية هو انها وجدت أن هذا الموجود الذي يجب ان ينصب عليه التفكير الفلسفي هو الانسان . وعلى هذا ارادت ان تبحث الانسان من حيث وجوده ومن حيث الوجود الانساني . ومن هذا بحثت عن هذا الانسان في احواله المختلفة . وبينت الطرق التي بها يدرك هذا الانسان وجوده ويكتشف بهذا المقولات الاساسية في حياته ، من حرية وقلق وخطيئة ومواقف يوجد فيها الانسان ولا يستطيع ان يخرج عنها . وهي المواقف التي يسميها يسبرز باسم المواقف الجدية. فمهمة الفلسفة الوجودية انتبحث في احوال الانسان المختلفة كي نصل من وراء هذا الى تحديد مكانة هذا الانسان داخل سائر الموجودات غير الانسانية . وعلى هذا انتهت الفلسفة الوجودية الى أن تكون بمثابة تحليل فينومينولوجي للاحوال الاساسية التي يوجد فيها الموجود الانساني ، وموقف هذا الانسان في المواقف المختلفة التي يوضع فيها ايا كانت هذه المواقف ، سواء كانت مواقف اقتصادية او سياسية او دينية الخ .. المهم ان نأخذ الانسان ثم نبحث في الاحوال التي يوجد فيها ، ثم نبين ، بتحليل موضوعي خالص ، ليس فيه أي تقويم ، لان الفلسفة الوجودية بعيدة كل البعد ـ حتى الان على الاقل ـ عن الناحية التقويمية ، نبين الاحوال التي يتلبس بها الانسان. ولكي تدرك الانسان الادراك الحقيقي ، فلنأخذ المواقف الاساسية التي يوجد فيها . ومن خلال هذه المواقف تحدد احوال هذا الانسان . فحالة الميلاد التي لا يستطيع الانسان ان ينفك عنها ، وانه يوجد في مكان ما ، وانه ولد في مكان ما من أبوين منتسبين الى هذا الوطن او ذاك ، الى ذلك الدين او ذاك الخ كل هذا موقف اساسي . وموقف الموت الذي ينتهي به ، ثم مواقف القلق والخطيئة والحرية والاختيار . كل هذه المواقف اساسية . وعلى الباحث الوجودي أن يحلل هذه المواقف واوضاع الانسان المختلفة منها . ثم ، الانسان موجود في عالم ، لان الانسان كان في البدء امكانيات ، ثم هذه الامكانيات كان لا بد ان تتحقق. ولكي تتحقق ، كان لا بد ان يكون هناك عالم من الادوات . وهذه الادوات في هذه الحالة تصبح باقي الناس ، من ناحية ، والاشياء المادية من ناحية اخرى . وعلى هذا فكل انسان موجود في العالم . فحالة الوجود في العالم من الاحوال الاساسية التي تبحث فيها الوجودية . ثم هل عالم الادوات هذا وموقف الانسان بالنسبة اليه ، هل ينغمس فيه وينغمر فيه ام يجب ان يحتفظ دائما بكيانه وذاته في مقابل كل هذه التيارات التي تريد ان تسلب شخصيته كيانها واصالتها ، وجودها الفرد الحق المتوحد كما يقول كيركجورد . وعلى هذا اخذت الوجودية تبحث في كل هذه المواقف وتبين الاحوال الانسانية لكل واحد منها . وهذا التحليل هو تحليل عقلي منطقي صرف . لا يلجأ فيه الى خارج نطاق المنطق التقليدي الصوري المعروف . ثم التحليل الدقيق لمعاني الالفاظ والمصطلحات ، ولكن لا الى ارجاع الاشياء الى لفظية والى مجرد تصريفات كما تنتهي اليها الواقعية الجديدة والوضعية المنطقية ولكن على اساس ان هذه معان تلبست بذهن الانسان في مختلف العصور ، وبالتالي هي اشياء موجودة ، ولها حقيقتها ، وعلى هذا ندرسها كظواهر موجودة تماما كما ندرس الظواهر الوضعية . هذه هي الخلاصة العامة لهذا المذهب . اما ما اتيت به في هذا المجال فاولا :

اني اخترت التحليل للوجود على اساس فكرة الزمان . فالزمان عندي يتدخل في تحديد كل حالة من هذه الاحوال ، والذي لم يحدث من قبل هو ان اي رجل من رجال الفلسفة الوجودية قد حاول فهم الاحوال الانسانية على اساس ادخال فكرة الزمن . والزمن عندي ليس هو المتصل الذي قال به برجسون ، بل هو المنفصل . ففي حالة الانفصال بين الان والان لا يوجد اتصال . ومن هنا ربطت بين فكرة الان هذه المنفصل ، وبين فكرة الذات الانسانية التي هي منفصلة عن سائر الذوات . ولا بد من طرق مختلفة لامكان الاتصال بين الذوات المختلفة ، كما لا بد من وجود طرق خارجية عن الانات لكي يترتب الزمان . فالواقع ان الزمان في ذاته ليس مدة متصلة كما يدعي برجسون . انما هو انات متوالية ليس بينها اتصال بالمعنى الحقيقي بل هي كالاعداد تماما منفصلة. فبين الواحد والاثنين لا يوجد اي اتصال مطلقا ، كما نجد عند راسل ، بل لا بد مما يسمى باسم القطع الديديكندي لكي ننتقل من واحد الى اثنين ، لان هناك ما لا نهاية له من الكسور . وبما ان اللامتناهي لا يمكن قطعه ، وعلى هذا فبين الواحد والاثنين والثلاثة ما لا نهاية له من الكسور . كذلك توجد ، تماما ، بين الذوات الانسانية هوات غير معبورة ، ولا يمكن الاتصال بالمعنى الحقيقي بين ذات واخرى . انما انواع الاتصال المختلفة التي يحاول بها الانسان ان يتصل بالغير اما من اجل التعاون معه او السيطرة عليه او اي طريقة من طرق المشاركة . وهي كلها محاولات كالمحاولات التي يقوم بها راسل او من اليه من الرياضيين من قطع الهوة القائمة بين عدد واخر .

على هذا الاساس حاولت ، ابتداء من الفكرة الزمانية ، ولكن الى الان لم اخرج هذا الجزء الذي يتعلق بالنتائج المترتبة على اتخاذ الزمان اساسا في كل تحليل للاحوال الوجودية . ولم انشر بعد النتائج التي وصلت اليها في هذه الناحية . وانما وضعت المخطط العام في كتاب « الزمان الوجودي » وقد اتيت فيه بمجموعة من المقولات التي تختلف تمام الاختلاف عن كل المقولات التي عرفناها حتى الان . فالمقولات من ايام ارسطو حتى الان كانت عبارة عن طرق لكي نصف بها الاشياء وكيف ترتبط في الوجود . وقد اقمت مقولاتي اولا على اساس فكرتين : فكرة التوتر ، ذلك ان هناك ديالكتيكا دائما في الوجود نفسه . فكل شيء له مناقضه الذي يوجد معه في نفس الان . وعلى هذا توجد حالة توتر دائمة بين الشيء وبين ذاته وعلى هذا التوتر يقوم سر وجوده . ونستطيع عن طريقه ان نفسر الاحوال المختلفة التي يتلبس بها الانسان . وانتهيت الى ثماني عشرة مقولة هي التي حاولت بها ان افسر الوجود . وانتهيت عند فترة زمنية أي ان هذا الوجود ناقص . ناقص بطبعه لان الزمان تسرب اليه منذ البداية ، وكانه روح او نفس تخللت هذا الوجود فجعلت طابع النقص يشوب كل جزء فيه . وعلى اساس فكرة الوجود الناقص ثم على اساس بما ان هناك زمانية فلا بد لكل شيء ان يتأرخ او يتزمن بزمان . لكن هذه الزمانية ، هل هي زمانية كمية كالزمانية التي نعدها بالساعات ؟ لا . انتهيت الى انها زمانية كيفية . هذه خلاصة مجملة لما اتيت به ، ولا اعتقد ان هذه الاشياء ، كما عرضتها، موجودة لدى اي فيلسوف وجودي اخر .

فؤاد زكريا : بعد هذا العرض الذي سمعناه من الدكتور زكي نجيب ثم من الدكتور بدوي لا ينتظر بالطبع مني ان اتحدث عن مزاحمات خاصة لاني اعد نفسي شخصا ما زال سائرا في الطريق . احاول ان اتلمس لنفسي طريقا معينا لا اظن اني استطيع الحديث عنه في الوقت الحالي . ولكن استطيع ، اذا استعرضت تاريخ الفلسفة العربية التي قد تكون بها اصالة ، ان ارى ان الوجودية والوضعية المنطقية معا ظهرا في ظروف معينة او كردود افعال لمذاهب معينة . فالوجودية مثلا ، ظهرت في اوروبا على يد كيركجورد كرد فعل لنزعة عقلية متطرفة عند هيجل ، وكما قلت في بداية الندوة كانت هناك تيارات متعددة ، قضية معينة تظهر ثم نقيض هذه القضية . ثم يأتي مذهب اخر يحاول التوفيق بين الاثنين وهكذا . ولكننا لم نمر بعد في بلادنا بتجربة المذهب العقلي الشامل الكامل كذلك المذهب الذي وضعه هيجل . مذهب ضخم ، بناء شامل يحاول به ان يفسر الكون باكمله من خلال العقل وحده . والذي اخشاه انه اذا اكتفت الاجيال الفلسفية المقبلة بالاتجاه الوجودي ان نسد عليها الطريق في تفصيل ارائها عن طريق عقلي صرف . اي ان الوصفية المنطقية تأيينا بسلاح مفيد جدا في استبعاد الخرافات . ولكن فيما يتعلق بالفلسفة في ظروفنا الحاضرة ربما كنا في حاجة الى شيء من هذه الخرافات لكي نمر في الطريق الذي مر فيه التطور الفلسفي. لا اقصد الخرافات بالمعنى الحرفي انما تلك الشطحات التي يعدها الوضيعون امورا يجب استبعادها من البداية . وحتى لو كانت اسباب هذا الاستبعاد قوية الا انه يخيل الي ان فتح المجال للشطحات الفلسفية التي ظهرت عند افلاطون وارسطو وديكارت وكانت وغيرهم وغيرهم ، ثم بعد هذا ، وليس قبل هذا ، من الممكن ان يكون هناك مكان سليم لمذهب يقول مثلا بتحديد المعاني الدقيقة للالفاظ او مذهب يقول بان الانسان عناصر اخرى او مقولات اخرى غير العقل الخالص . هي مقولات مستمدة من وجدان الانسان وانفعالاته وشخصيته وموقعه من الحياة .

زكي نجيب : اخشى ان تنتهي الندوة دون ان اذكر الفضل لذويه من غير من ذكرت . لان هناك مجهودات فلسفية كثيرة جدا في ميدان البحث الفلسفي الجامعي الصرف ، وبخاصة في الميدان الاسلامي ، في الفلسفة الاسلامية يستحيل أن تنهي ندوة كهذه دون ان نذكر المرحوم الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بجهوده في اثبات ان الفلسفة الاسلامية فلسفة ذات اصالة خاصة بها . وعلى نهجه سار كثيرون هنا من الاساتذة الافاضل من بينهم الاستاذ مدكور والدكتور الاهواني والدكتور النجار والدكتور قاسم واخرون . كل هؤلاء ، متعاونين ، وصلوا ببحوثهم الى نتائج تشرفنا جميعا وهي ان اثبات الفلسفة الاسلامية لم تكن مجرد نقل انما هي فلسفة ذات طابع اصيل . وفي مثل تلك البحوث الموضوعية القائمة على اسانيد اصالة ولا شك . كذلك لا بد ان نذكر زملاء اخرين اختاروا مجال التصوف وليس فينا من يمثلهم هنا ، كانت لهم جهود مشكورة منهم الدكتور ابو العلا عفيفي والدكتور مصطفى حلمي وغيرهما كثيرون .

عبد الرحمن بدوي : اظن اننا نستطيع في ختام هذه الندوة ان نخرج بنتيجة عامة ، هي انه توجد فعلا مجهودات يمكن ان توصف وتتسم بالاصالة سواء في باب الدراسات الفلسفية الاصيلة او في باب الدراسات التاريخية وخاصة ما يتعلق منها بالفلسفة الاسلامية .

فؤاد زكريا : ويضاف الى هذا كله بطبيعة الحال انه يجب ان ينظر الى الفلسفة بمعنى من المعاني على انها انعكاس لاحوال ثقافية وعلمية عامة ، ومما لا شك فيه ان التقدم العام في هذه الميادين الثقافية الاخرى كفيل بان يزيد الحركة الفلسفية عمقا وثراء . واذا استعرضنا تاريخ البلاد الناهضة فلسفيا فسنجد دائما هذه المواكبة او المسايرة بين النهضة الثقافية العامة والنهضة الفلسفية . بمعنى اخر نستطيع ان نكون متفائلين بالنسبة الى مستقبل الفلسفة اذا ادركنا اننا نبدأ في تكوين تراث علمي سليم ومتين لنا . وهذا كفيل قطعا بان ينعكس على ميدان الفلسفة كما حدث في كل الاحوال السابقة في تاريخ الفلسفة.

زكي نجيب محمود : يكفينا في مجهوداتنا الفلسفية فخرا ان نقول اننا وفقنا ، ليس فقط في ان نجعل الفلسفة دراسة تقوم على اساس علمي متين من حيث البحث وعلى اساس مذهبي متين من حيث اتجاه المذاهب المختلفة ، وعرضها عرضنا فيه جدة ولا شك . بل وفقنا جميعا، كل المشتغلين في هذا الميدان ، الى نشر الوعي الفلسفي الى الحد الذي جعل الفلسفة تتسرب افكارها الجادة الى الصف الثاني ، بل والصف الثالث من القراء . لقد اطلعت منذ ايام على نسبة ما ينشر من الكتب في بلدنا ونسبة ما يوزع منها فوجدت ان للفلسفة نصيبا كبيرا هو بطبيعة الحال ، يرتد الفضل في مثل هذا الوعي الفكري الى المشتغلين بالفلسفة من العرب .

كل الذي اخشاه ان يفهم اننا تحدثنا عن انفسنا . ولكن كان لا بد ان نفعل هذا ، لان البحث الفكري مجسد في اشخاص ، ونحن فريق من هؤلاء الاشخاص . وليعذرنا من لم يرد ذكره في هذه الندوة . فكل ذي فضل مشكور .

ابراهيم الصيرفي